جلنار

تأليف
غيداء حامد الهبيط

مراجعة
الدكتور/ محمد تيهان

مكتبة خالد بن الوليد
KHALED BOOK STORE
الإدارة العامة تلفون: 01235400

المدرسة الثانوية في مدينة أرض السلام تعد من أشهر المدارس داخل المدينة حيث لا يدرس بها إلا فئتان هما الأغنياء أو الأذكياء، ومنذ عشرين سنة يعمل بها الأستاذ عبدالسلام، عبدالسلام صاحب الشخصية الطيبة والحكيمة.

نظر إليه الأستاذ باسم وقال باستهزاء: بل شخصية غبية، ألا ترى كيف يعطف ويتكلم مع طلابه وكأنه واحد منهم وليس معلمهم حتى أنهم لا يهابونه! .

- لا أعرف لماذا تتكلم هكذا، ولكن كل ما أعرفه أنه أستاذ رائع، والآن .. هل؟ ..

ثم وقف.. وقال : حسناً هل تريد أي شيء آخر؟ فلدي أعمال .

- لا .. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء إذن.

خرج باسم من مكتب المدير وهو مغتاظ ..

لا أعلم لماذا يحبون هذا العجوز الخرف ولكن كل ما أعلمه أنه غبي.

*** * ***

دخل المعلم العجوز إلى فصله وهو مبتسم.

- صباح الخير أعزائي

- صباح النور.

- جو جميل أليس كذلك؟!

- بلى يا أستاذ.

- والآن يا صغاري هل قمتم بحل واجب الأمس؟

- نعم أستاذ.

- هل واجهتم صعوبة في درس الأمس؟

- لا

- أحسنتم .. صغيرتي جوان هل واجهتِ صعوبة ما؟

- لا يا أستاذ.. الدرس بسيط.

منار: انظري إليه لا يسأل إلا هذه القبيحة!

هدى: كم أكره هذه الفتاة انظري إليها كيف تدعي أنها بريئة...فتاة مقرفة.

المعلم : الرجاء الصمت .. إني أسمع ما تقولانه، أتمنى ألا يتكرر هذا الكلام على أفواهكم، والآن جميعكم افتحوا على صفحة ٢٣.

- ما العنوان؟

- البيئة.

- حسناً من يعرف ما البيئة؟

ينظر الأستاذ إلى الفصل .. لا أحد يعرف.

نعم جلنار عزيزتي تفضلي.

- البيئة: هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان.

- أحسنتِ .. إذن البيئة هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان وبعدما تقدم لكم العنوان إليكم التالي :

وبدأ المعلم يشرح الدرس..

- حسناً يا صغار هل فهمتم درس اليوم؟

- نعم أستاذ.

- هل هناك شيئاً ما؟

- لا.

- حسناً تفضلوا بالخروج ... عدا جلنار انتظري أريدك.

- نعم أستاذ.

- تعالي يا صغيرتي. هل تريدين أي مساعدة مني؟

- لا يا أستاذ...شكراً لك.

- حسناً تفضلي إنها كتب جميلة وفيها اقتباسات رائعة...هل تودين قراءتها؟

- جلنار وهي سعيدة: شكراً لك يا أستاذ.

- المعلم وهو مبتسم : نعم يا صغيرتي خذيهم إني لأرى في عينيك مستقبلاً.

- شكراً أستاذ .

- اقرأي هذا الكتاب جيداً إنه جيد انظري هذا الكتاب (ابقَ قوياً) كتاب جميل سيساعدك، هناك مقولة تقول :

(لا يهم ما ولد الناس عليه بل ما سيصبحون عندما يشيبون).

اقرأيه وسوف تجدين الكثير من الكلام المفيد لأشخاص رائعين.

- حسناً.

- ماذا تفعلين؟

اكتب ما قلته لي إنه كلامٌ جميل .

- لا يا صغيرتي إنه في الكتاب قائلها (جيه .كيه .رولينج) على ما أعتقد .. والآن إذهبي لا أريدكِ أن تتأخري.

-حسناً إلى اللقاء وشكراً لك على اهتمامك بي.

أطلق الاستاذ إبتسامة وهز رأسه والسعادة تغمره.

إلى اللقاء يا جلنار، ثم تمتم :

أتمنى أن تنالي ما تطمحين إليه يا صغيرتي في المستقبل وسأسعى جاهداً أن تحققيها - وهو ينزع تنهيدة ألم- لا أعلم لماذا الأشخاص الطموحين يواجهون الكثير والكثير من الألم والتثبيط! أينبغي أن يسلكوا كل هذا الطريق المتعب المكتظ بالأشواك والأفخاخ؟! تباً لهذا العالم الذي لا يوجد فيه احتواء.. تباً له، ولكن لماذا أنا أشتم العالم .. العالم جميل ومجتمع قاسٍ، لمَ أشتم المجتمع .. المجتمع طيب وكل ما جعلهم قساة هي ظروفهم... ولكن لماذا أضع اللوم على الظروف، لا أعلم على من أضع اللوم على تربية الآباء أم على الجهل أم على الجشع؟! لا أدري سوى أن لكل شيء حكمة في هذه الحياة، لا نملك سوى الحمد على كل شيء ولكن لماذا كل هذا الحزن في قلبي..آه لا أدري لماذا؟ كل ما أعرفه أن هناك تياراً من الحزن في قلبي.

***

يأتي رامي إلى المعلم ويكلمه بكل بهجة وسرور:

- مرحباً يا معلمنا.. كيف حالك؟

- أهلاً .. الحمدلله، وأنت؟

- أراك سعيداً.

- نعم صباحٌ جميل.

- بل مساءٌ رائع، إنها الساعة الواحدة ظهراً.

- أوه .. نعم كل ما أقصده أن صباحي كان رائعاً.
- والآن دعك من هذا.. كيف كان صباحك؟

المعلم ينظر باستغراب .. على ما أعتقد سألتني عن حالي قبل دقائق .. ماذا تريد؟ سوف أساعدك .

رامي يتكلم بخجل: أريد بعض الموسوعات العلمية استعداداً لإمتحان القبول في الجامعة، وكما تعرف ليس لدي نقود لشرائها.

- حسناً يا بني تعال معي إلى المنزل وخذ ما شئت من الكتب شريطة أن تحافظ عليها.
- شكراً لك معلمنا، لا أعلم كيف أرد جميلك.
- لا بأس يا بني لا تعلم كم من السعادة أشعر بها عندما أساعد طلبة باحثين عن علم، وخذها قاعدة مني لا بأس أن تطلب العلم أطلبه دون خجل، قل : لا أعلم، ولكن تعلَّم، هل تعرف متى يخجل المرء؟ المرء لا يخجل من شكله أو فقره، المرء إن كان عالة على هذا البلد هنا عليه أن يخجل.
- شكراً لك.
- هل تريد المزيد؟ خذ.
- لا... يكفيني هذا، سأعيده لك خلال شهر.
- حسناً خذ ما شئت من الوقت.

***

جوان جوان.

- نعم يا ابتسام.
- لقد تأخرتِ عن العمل فلتسرعي.
- نعم، لقد أصبحت جاهزة، لم يتبقَ سوى أن ألبس حذائي.
- اعملي بجد.
- حسناً.. أراك بخير، إلى اللقاء.
- إلى اللقاء.

خرجت جوان من المنزل ذاهبة إلى العمل كخادمة لمساعدة عائلتها للحصول على المال وفي أثناء سيرها في الشارع قابلت إحدى زميلاتها في الدراسة.

منار تتكلم باستحقار: إلى أين أنتِ ذاهبة يا جوان؟ أوه لا.. قصدي جلنار؟

- إنني ذاهبة إلى العمل.

- وماذا تعملين؟

- خادمة أساعد أمي، إنها تعمل هناك طوال النهار وأنا أساعدها في المساء.

منار باحتقار: خادمة !

- نعم .. حسناً إلى اللقاء لقد تأخرت.

منار تطلق إبتسامة خبيثة : خادمة! سأخبر جميع الطلبة بأنها خادمة، سيكون غداً صباحاً أكثر من رائع.

يا معلمنا الفاضل .. جلنار ترى كيف سيدافع عنك معلمنا؟!

منار بماذا تفكرين؟

تعالي الى المنزل (الأم منادية من نافذة المنزل)

الأم: جوان لقد تأخرتِ؟ أين كنتِ؟

- لقد كنت ...

الأم مقاطعة وبنبرة غضب، لقد تأخرتِ هل تكلم معك المعلم المزعج

- لا يا أمي.

- حسناً ابدأي بتنظيف الصحون ثم المطبخ ولا تنسي تنظيف الحوش جيداً.

- حسناً يا أمي.

الأم متحدثة مع نفسها: ذاك المعلم المزعج سبب مشاكلنا، تريد أن تصبح طبيبة ونحن لا نجد سوى قوت يومنا.

- جوان.

- نعم يا سيدتي.

- بعد أن تنهي أريد منك أن ترتبي الملابس.

- حسناً يا سيدتي ولكن أمي قالت أن أنظف المطبخ والحوش.

- بعد أن تنتهي منهم .. فهمتِ؟

- حسناً سيدتي.

جوان متحدثة مع نفسها: ألا يحق لي العيش كالبقية؟

الأم: جوان سأعود إلى المنزل بعد أن تنتهي من العمل، عودي إلى المنزل فوراً

- حسناً أمي.

وأخيراً بعد انتهاء هذا اليوم المتعب عادت جوان إلى المنزل متعبة مستاءة من حياتها، عادت إلى البيت لتغط في نوم عميق، لو كانت استمتعت بعملها وسرت بأنها تساعد أمها لما شعرت بهذا التعب وكانت ستحس براحة وسعادة، لا أقول بأن العمل ليس متعبا ومجهدا، ولكن الحالة النفسية تتعب الجسد أكثر من العمل نفسه. استيقظت جوان على زقزقة العصافير مستعدة للذهاب إلى المدرسة بكامل نشاطها، وأثناء سيرها إلى المدرسة كانت رانية أمامها.

رانية: جوان .. سمعت أنك تعملين خادمة.

جوان بخجل: نعم أساعد أمي.

رانية باحتقار: حسناً إلى اللقاء... كان الله في عونك.

المعلم منادياً جوان بحماس.

- مرحباً يا صغيرتي كيف كانت الكتب؟ هل قرأتِ أحدهم؟

- لا.

- ولماذا ؟ لماذا كل هذا الحزن؟

- ليس هنالك شيء.

- لا .. هناك شيء .. أخبريني، ولماذا لم تطلعي على الكتب؟

- لقد كنت مشغولة.

- لماذا مشغولة؟

جوان بنبرة خجل وحزن: بعد عودتي من المدرسة أساعد أمي.

- رائع يا صغيرتي، إنك تساعدين ولكن بماذا؟

- أمي خادمة وأنا أعمل معها في المساء لذلك أعود متعبة ولا أستطيع الدراسة والقراءة.

- بل تستطيعين يا صغيرتي، الدراسة والقراءة والعمل.

- ولكن متى؟

- نمتلك الوقت يا صغيرتي إذا ملكنا الهمة وعملنا بنفسٍ راضية،.. لا يهم من أكون، المهم ماذا سأكون؟ هكذا قالوا

العمل ليس عيباً لأننا جميعاً خُدّام.

المعلم خادم فهو يدرس ويحصل على أجرة .

والمحاسب خادم يحصل على أجرة .

المحامي كذلك، الطبيب، المهندس.

جميعاً خدام ليس الخادم فقط من يعمل في بيوت الغير، كن راضياً وستجد الوقت لكل شيء، راضياً يا صغيرتي .. الرضى يغير الكثير والكثير، وأيضاً الثقة.

المعلم مبتسماً: اسمعي يا ابنتي، عقلية الناس هي من حصرت كلمة خادمة على من يعمل في بيوت الناس، وأقول لك: إنها عقلية متخلفة وجاهلة وأيضاً .. ماذا اقول!، حسناً اذهبي إلى الفصل الآن هناك حصة سنكمل الحديث فيما بعد.

****

المعلم: صباح الخير.

الطلبة: صباح النور.

المعلم: ماذا سندرس اليوم؟

الطلبة: نصوص .

المعلم: حسناً سندرس هذا الدرس في وقت لاحق، افتحوا معي صفحة خمسين، ما العنوان؟

الطلبة: المهن.

المعلم: حسناً كل واحد منكم يسمي مهنة.

الطلبة: أنا طبيب .. وأنا مهندس

وأنا طيار.. وأنا محامٍ .. وأنا ...الخ

المعلم : لم أسمع منكم أي أحد يقول: سائق، خباز، خادم، طباخ، نادل، لماذا...لماذا؟!

صغاري لا أريدكم أن تكونوا من أصحاب العقلية المتخلفة.

وبنبرة صوت مشمئزة: سحقاً .. سحقاً لهم.

حسناً يا أطفال سأضرب لكم مثالا وأنت تحكمون ..

أيهما أفضل طالب يدرس طب والآخر يدرس .. لنفترض إنجليزي ..

الأول ماذا يفعل؟

المعلم: الطبيب يذهب إلى الجامعة ويعود لينام ثم يذهب إلى كتبه، والده مصاب بمرض نفسي لا يعمل .. !

الأم تعمل في البيت ثم تذهب لتعمل خارجه.. نفس الروتين يعني، ليستيقظ في الصباح ويأخذ مصروفه من أمه ثم يعاتبها، لا ليس يعاتبها بل يرفع صوته عليها بسبب قلة المصروف هذا الطبيب.

الطلبة : صحيح.

الثاني طالب اللغة ..

حسناً هذا المدرس يأخذ المحاضرات ثم يعود إلى البيت.

ماذا يعمل يا أطفال بعد العودة إلى البيت؟

الطلبة : ينام.

المعلم: لا بل يغير ملابسة للخروج للعمل، ماذا يعمل يبيع العطور في السوق .. كيف تفكرون؟ .. سأخبركم .. سيجلس في السوق في مكان محدد ويجتمع الناس حوله ويبيع ما لديه من عطور ثم يعود إلى البيت وهو مرتاح، نعم مرتاح لقد حصل على مال.

لا ليس كذلك بل يدور في السوق مشياً على الأقدام حتى الساعة على ما أعتقد العاشرة مساءً مشي مشي، فهمتم؟ من الساعة الثالثة عصراً حتى العاشرة مساءً إذن يا صغار طالب الطب بعد عودته من الجامعة ينام من الساعة الثالثة عصراً حتى الساعة الثامنة مساءً، ثم يذاكر وأكيد هناك بعض التسلية.

المعلم : تعرفون ماذا يحصل لو أن طالب الطب يفعل ما يفعل طالب اللغة؟

ماذا يحدث له لو عمل في الوقت الذي ينام فيه؟

أنا أقول لكم : العيب ليس فيه، العيب في الأب والأم، المعلم في مجتمعنا هذا السائق الطباخ النادل والخادم يا حسرتي لا أدري ماذا أقول؟! محتقرون من

المجتمع، ليس كل المجتمع بل البعض منهم، أما أنا فأحترمهم أشد احترام لأنهم ليسوا عالة على مجتمعهم، بائع العطور لم يكترث بالعالم ماذا سيقول عنه بقدر ما كان همه الحصول على مال لحفظ ماء وجهه من السؤال سؤال الأب وسؤال الناس على الأرصفة.

طالب: ولكن يا أستاذ أن تطلب من أبيك نقوداً ليس عيباً.

- نعم يا صغيري ليس عيباً العيب أن تسأله و قد بلغت سن العشرين.

- وجهة نظر.. فهمت.

هذه وجهة نظري.

- والآن لنعود إلى الدرس يا صغار، وأقول لكم: جميع المهن جميلة مهندس محامي طيار حتى الخادم عليه أن يكون لديه طموح أكبر من أن يكون خادماً عليه أن يملك العالم.

كلامي السابق لا يعني بأن تكونوا خداماً بل عندما ترون أشخاصاً يعملون في المهن البسيطة لا تسخروا منهم، هم لديهم أحلام، مثلاً: الطباخ كان حلمه أن يصبح طبيباً لم تتوفر له النقود حتى يحقق حلمه، أو لم يقدم له أحد يد المساعدة كان يواجه دائماً السلبية والتثبيط .. وهنت قدرته وإرادته وخاصة إذا كانت من الأب أو الأم .

والآن .. هل فهمتم الدرس؟

- نعم.

- وماذا فهمتم؟

- احترام جميع المهن وخاصة البسيطة وأن نجعل أحلامنا حقيقية.

- أكملي يا جلنار.

وأن لا نسمع كلام الناس السيء ونفتخر بما نحن عليه؛ لأن المهم ما سنكون غداً لا بأس في الفقر سنفعل قصارى جهدنا لرسم السعادة على وجوه أمهاتنا، لا بأس بقليل من الشقاء ما دام هذا الشقاء سيجعلنا أشخاصاً عظماء أو حكماء بالأخص.

- أحسنتم، والآن تفضلوا .. انتهى درس اليوم... الأخلاق والتربية أهم من كل شيء فهمتم؟ .

- حسناً أراكم بخير.

خرج جميع الطلبة عدا جوان.

- جوان : أستاذ، أنت قلت سنكمل الحديث بعد الحصة.

- المعلم : جلنار، ما كان علي قوله قلته أمام الطلبة أتمنى أن تفهمي أن الأغنياء ليسوا سعداء والفقراء ليسوا أشقياء، نحن من نحدد السعادة والشقاء بأنفسنا يا طفلتي، لا بأس يا طفلتي بأن تكوني اليوم خادمة وغداً طبيبة ولكن العيب كل العيب أن تكوني خادمة طوال العمر، اذهبي ستتأخرين عن عملك، إلى اللقاء.

- المعلم متحدثاً مع نفسه : سأبذل قصارى جهدي لأساعدها لتحقق حلمها كطبيبة كنت أعلم أن هذه الفتاه وراءها قصة والآن عرفتها لذلك عليّ مساعدتها.

عاد المعلم والطلبة إلى منازلهم، البعض منهم يلعب والآخر يعمل والبعض منهم يقرأ ، ولأول مرة تذهب جوان إلى عملها سعيدة راضية بحياتها البسيطة التي قدر لها أن تعيشها، ذهبت إلى العمل وعادت إلى المنزل لتذاكر دروسها وتقرأ الكتب التي أهداها لها معلمها الطيب نعم نحن نمتلك الوقت.

- الأم: جوان يا طفلتي تعالي إلى هنا من يوم غد لن تأتي إلى العمل معي.

- جوان وبنبرة حزن وتأسف: لماذا يا أمي أنا آسفة على كل شيء آسفة.

- الأم: جوان يا صغيرتي، لا داعي لكل هذا الحزن إني لأرى عينيك تكاد تدمع لا بأس.

- جوان: أرجوكِ أريد العمل معك.

- الأم: دعيني أكمل حديثي أولاً.

- جوان: نعم.

- الأم: ستعملين يومين في الأسبوع فقط وبقية الأسبوع تدرسين وتحققين ما تريدين أن تكوني عليه في المستقبل، أنا لا أريدك أن تعملي ولا أريدك أن تكوني مثلي أبداً أريدك أن تكوني ما تريدينه ولكن النقود لا نملك القدر الكافي منها لتعيشي الحياة التي تريدينها .

- إبتسام: أمي التي لم تعطنا القدر الكافي من المال لكي نلهو ونلعب ولكن أعطتنا الكثير من الحب والعاطفة وهذا ما يفتقر إليه الكثير من الأغنياء، لا تحزني يا أمي نحن لسنا أشقياء، نحن نمتلك الحب نمتلك الحرية نمتلك كل شيء، ما أقوله صحيح يا جوان أليس كذلك؟

- بلى بلى يا أختي.

- الأم: وعيناها تفيض من الدمع: لقد خففتما عني الكثير.

- جوان: والآن يا أمي هل تريدين البكاء أم احتضاننا؟

احتضنتهما الأم وعم المكان شعور من الحب والرضا والطمأنينة.

- الأم: والآن اخلدا إلى النوم فلديكما أعمال، تصبحون على خير.

- جوان: وأنت بخير.

- إبتسام : أحلام سعيدة.

- إبتسام : جوان هل قرأتِ الكتب التي أعطاك إياها المعلم.

- جوان: نعم ليس جميعها يمكن صفحتين فقط.

- إبتسام: إن المعلم رجل طيب.

- جوان: نعم طيب جداً إنه يعامل جميع الطلبة باللطف ويقدم لهم المساعدة والنصيحة أيضاً.

- إبتسام: ماذا ستفعلين غداً عندما تعودين من المدرسة؟

- جوان: أذاكر دروسي ثم اقرأ الكتب هذه.

- إبتسام: هل تساعديني في أعمال المنزل حتى أعود للقراءة معك.

- جوان: حسناً لا بأس.

- إبتسام : تصبحين على خير.

- جوان : وأنتِ بخير.

*** * ***

ذهب كل منهم إلى النوم .. جوان تفكر بالمستقبل المجهول الذي دائماً تتخيله تارة بخوف وتارة بأمل.

جوان متحدثة مع نفسها.

كفاك تفكيراً ...إن النجوم جميلة جداً

لقد خلق الله كل شيء بحكمة وتدبير.

ترى ما سر النجوم أخلقها الله لتؤنس الساهرين؟

أم لها حكمة أخرى؟ لا أدري!

سأذهب غداً إلى المعلم وأخبره أن لدي فضولاً لأعرف.

نامت جوان وكلها شوق لغد.

ومع بزوغ فجر جديد يستيقظ الحالمون والعاملون

إبتسام .. إبتسام استيقظي.

إبتسام: ماذا تريدين دعيني أنام لم تبزغ الشمس بعد.

لا...فلتستيقظي واستمتعي بهذا الجو الرائع إن للفجر أنفاساً جميلة .. استيقظي .

لا .. أريد الاستمتاع بالأنفاس الجميلة ابتعدي.

الأم: هيا إن الفطور جاهز.

حسناً يا أمي آتية ولكن إبتسام لم تستيقظ بعد.

أيقظيها إذن.

حسناً اذهبي وسأتبعك .. أوف يا لهم من مزعجين.

إلى اللقاء يا أمي.

إلى اللقاء.

ذهبت جوان إلى المدرسة بخطى متسارعة

- صباح الخير أستاذ.

- صباح النور يا طفلتي.

- أستاذ أريد أن أسألك سؤالاً

- وماذا هذا السؤال تفضلي.

- أريد أن أعرف عن الفضاء وما فيه من نجوم وكواكب.

الأستاذ مبتسماً: حسناً يا صغيرتي أحب فضولك جداً، ولكن عليك أولاً أن تكملي الكتب التي أعطيتك إياها ثم سأعطيك الكتب التي تريدينها.

والآن اذهبي لقد بدأ الأستاذ بالدرس.

- حسناً شكراً لك.

- أستاذ هل أستطيع الدخول.

- لماذا تأخرتِ؟

- لقد كنت أكلم الأستاذ في شيء ما.

- وما هذا الشيء؟

أخبرته أن يعطيني بعض الكتب.

الأستاذ متضاحكاً: أتريدين كتباً... عليك أولاً أن تذاكري دروسك ثم عليك بالكتب الأخرى.

- ادخلي

منار: يا لها من فتاة غبية تريد أن تخبر الأستاذ أنها تحب الإطلاع.

علياء: لا عليكِ منها إنها مجرد خادمة حمقاء في المستقبل القريب سوف نراها تتسول على الرصيف، يا لها من مسكينة فتاة حالمة.

سوسن: ماذا تقلن أنتن؟ الله يغير من حال إلى حال يمكن أنتن من يتسول من يدري!

منار: أنتِ اصمتي لا أحد يكلمك.

سوسن: أنتن تثرن اشمئزازي عليكن الاعتراف أنها أفضل منكن.

علياء: اصمتي أنتِ يا سمينة .

سوسن: نعم سأصمت وأنا لا أتكلم مع قبيحتين.

المعلم: إني أسمع وشوشة لا أريد أن أسمع حرفاً واحداً فهمتم والذي يريد الحديث يتفضل الباب مفتوح.

الطلبة: حسناً.

والآن، من يحل المعادلة؟

- أنا يا استاذ.

- تفضلي يا جوان... جوان أو جلنار.

-جوان بإبتسامة خجولة: هل ابدأ

- حسناً يا جوان.
- ركزوا .. أنتِ ابدأي.
- حسناً لقد انتهيت يا أستاذ.
- أوه أحسنتِ تفضلي بالجلوس.
- وأنت على ماذا تضحك.
- لا شيء.
- قف اخرج.
- أستاذ أرجوك.
- اخرج.
- حسناً

لا مجال للأغبياء هنا الذي يريد أن يتحدث ويضحك يخرج، هنا مدرسة للعلم والتربية فقط والآن دعونا نعود إلى الدرس.

وبعد انتهاء الدرس خرج الطلبة من المدرسة ليعودوا إلى منازلهم.

جوان جوان.

- نعم يا سوسن.
- كيف حالك؟
- الحمد لله وأنتِ.
- الحمد لله.
- أنتِ جديدة على هذه المدرسة.
- نعم لقد درست الابتدائية والإعدادية في مدرسة أخرى حكومية.
- أهلاً بك إذن في مدرستنا، ما رأيك أن نذهب إلى الحديقة للتسلية قليلاً؟
- لا... أريد العودة إلى البيت فلدي أعمال.
- حسناً إذن ما رأيك أن تأتي غداً إلى الحديقة سأكون هناك؟
- لا فلدي عمل غداً.
- ماذا تفعلين؟ غداً إجازة.
- إني أساعد أمي.

- أوه حسناً متى؟
- يوم السبت ما رأيك؟
- حسناً إذن أراك بخير.
- إلى اللقاء.

إبتسام إبتسام ،السلام عليكم فيم تفكرين؟

- لا شيء وعليكم.
- طلبتِ مني أن أساعدك، ماذا أفعل؟
- حسناً، اغسلي الملابس.
- أوه حسناً، سأغير ملابسي ثم أعود للعمل.
- حسناً، خذي راحتك.

إبتسام متحدثة مع نفسها: كم تمنيت أن أكمل دراستي الثانوية كان أكبر حلمي أن أكون معلمة ولكن لا بأس.

- إبتسام.
- ماذا تريدين؟
- لماذا أنتِ حزينة؟
- لا شيء اذهبي إلى عملك.
- أخبريني وسوف أساعدك.
- ما أريده شيء مستحيل.
- لا شيء مستحيل.

إبتسام بإبتسامة ساخرة : ومن قال لك ذلك؟

- المعلم.
- ألم أخبرك عن المعلم؟
- بلى أخبرتيني، هل تريدين الذهاب إلى العمل أو لا؟! دعيني أعمل.

حسناً، ولماذا كل هذا الغضب؟ سأذهب الآن.

إذن اذهبي، ولماذا أنتِ واقفة؟

جوان متحدثة إلى نفسها ترى ماذا بها لماذا هي حزينة؟

سأكمل غسل الملابس وأذهب إليها متوسلة لتخبرني.

- إبتسام.

- ماذا؟

- لقد أنهيت غسل الملابس.

- أتريدين شيئاً آخر؟

- لا.

- أختي، ارجوكِ أخبريني.

- هل أنا مهمة لهذه الدرجة أم فضول؟

- لا أنا مهتمة فأنتِ أختي لا أريد أن تكوني حزينة، وحزني من حزنك.

إبتسام بتأسف: أنا آسفة أنت لا تعلمين ماذا بي.

كان حلمي أن أكون معلمة ولكن كما تعلمين.

جوان بتحسر: أنا آسفة لا أستطيع مساعدتك.

ولكن بإمكانك أن تدرسي معي في المنزل وسأشرح لك ما يشرحه لنا الأستاذ

لا لا .. هذا لن يفيد لا بأس لقد كان حلمي في الماضي.

أما الآن فأنا لا أهتم.

- لا تهتمي .

- أخبرتك أني لا أهتم.

- حسناً إذن.

- اسمعي.

- ماذا؟

- لا تخبري أمي بهذا الحديث لا أريدها أن تحزن، أفهمتِ؟

- حسناً.

- وعد؟

- وعد.

جوان تذهب إلى غرفتها متكلمة مع نفسها: لا... أختي تريد أن تكمل دراستها وإذا كان ما تقول صحيحا أن حلمها كان ماضيا لما كانت شعرت بهذا الحزن، ماذا أفعل إذن... نعم وجدتها، سأذهب إلى المعلم وأخبره عله يجد حلاً.

إبتسام: إلى اللقاء.

- إلى أين أنتِ ذاهبة ولماذا أنتِ مسرعة؟

- سأذهب وأعود بسرعة لا تقلقي.

- ولكن إلى أين؟

- إلى اللقاء.

إبتسام متحدثة إلى نفسها: إلى أين هي ذاهبة وبهذه السرعة غريبة الأطوار فعلاً.

***

أيها المعلم، أيها المعلم.

المعلم من نافذة المنزل: نعم أهلاً جلنار صغيرتي.

- أريدك في موضوع.

- حسناً يا صغيرتي انتظري لحظة .. تفضلي.

- ماذا تريدين؟

- تفضل لقد أنهيت هذا الكتاب وأريد الكتاب الذي أخبرتك عنه.

المعلم بإبتسامة: لقد وضعته هنا على الطاولة.

- نعم ها هو.

- خذيه جوان .. جوان ما بالك يا صغيرتي

- لا شيء.

- تفضلي واجلسي واخبريني ماذا بك ولماذا هذا الشرود.

جوان بخجل وحزن: عند عودتي من المدرسة رأيت أختي حزينة وشاردة.

وما بالها؟

- لقد سألتها.

- وماذا قالت؟

قالت هي حزينة؛ لأنها لم تستطع تحقيق حلمها كانت تحلم أن تكون معلمة ثم قالت لي إنه كان حلمها في الماضي.

- أصحيح يا استاذ لو كان في الماضي لما شعرت بالحزن الآن؟

- نعم ...اسمعيني يا صغيرتي نحن لا نستطيع أن ننسى أحلامنا حتى بعد شيخوختنا.

- ولكن لماذا؟

- لا أعلم، لماذا؟

- ولكن كل ما أعلمه أنه لا أحد يستطيع أن ينسى أحلامه حتى وإن لم يستطع أن يحققها فهو يطمح أن يحققها أبناؤه.

- وإن لم يحققها أبناؤه؟

- لا تعلمين يا ابنتي كمية الحزن والألم الذي يشعر بها.

جوان بفضول: وأنت هل لديك حلم ولم تستطع تحقيقه؟

- إنها قصة طويلة ولكني أشعر بسعادة الآن كوني حققت شيئاً ما في حياتي فمهنة المعلم ورسالته أجمل من أي شيء آخر هكذا قال... نعم هكذا.

- ومن هو؟

- اسمعي يا صغيرتي إذا كانت أختك ترغب أن تكون معلمة تأتي إليّ في أي ساعة تريد وسأعلمها وأدربها حتى تعمل كمعلمة.

- حسناً يا صغيرتي.

- حسناً سأخبرها وأكلمك غداً إن شاء الله.

- حسناً.

إبتسام إبتسام.

- ماذا بك ولماذا كل هذه السعادة؟

- لقد ذهبت إلى المعلم.

- المعلم! ولماذا ذهبتِ إلى هناك؟

- أخبرته عنكِ.

- عني، لم افهم!

- أخبرته عن حلمك، وقال أنه سيساعدك.
- وكيف سيساعدني؟
- اهدأي واجلسي.
- حسناً حسناً.
- أخبرني أن تأتي إليه ساعة في المساء وهو سيعلمك ويدربك كمعلمة.
- حقاً.
- نعم.

جوان إبتسام

نعم يا أمي

ما كل هذه السعادة اليوم ما السر؟

أمي ..

- نعم يا إبتسام.
- لا شيء.
- بل هناك شيء يا أمي.
- تكلمي يا جوان.
- إبتسام تريد أن تكون معلمة.
- أنتما تعلمان جيداً أنني لا أمتلك النقود لتعليمكن.
- لا يا أمي هي لن تدرس في المدرسة بل ستذهب إلى المعلم بعد الانتهاء من أعمالها المنزلية.
- حسناً إذن لا مانع عندي.

إبتسام بفرحة وسرور، حقاً شكراً لكِ يا أمي شكراً.

مر الوقت بسرعة وذهبت كل واحدة منهما إلى غرفتها وعند حلول الصباح تجهزت جوان للذهاب إلى عملها الجديد وهناك قابلت فتاة لطيفة حالمة.

- مرحباً.
- مرحباً ولكن من أنتِ.
- أنا جوان سأعمل هنا خادمة.. يعني الخادمة الجديدة.

- أوه تذكرت أهلاً جوان أنا ميسون.
- أهلاً، هل استطيع أن ابدأ العمل؟
- تفضلي.
- وبدأت ميسون تعلمها كيف تعمل في المنزل الجديد وما الوظائف التي تقوم بها.

وبعد انتهاء جوان من العمل...

- ميسون أريد الذهاب لقد أنجزت عملي.
- انتظري بإمكانك الجلوس معي حتى ينتهي المساء.

فكما تعرفين أمي خرجت ولا يوجد أحد في المنزل

ولكن ..

- أرجوك سنتحدث ونشاهد التلفاز، هل أنتِ موافقة؟
- حسناً.
- أوه شكراً لك أجلسي هنا سأذهب لأحضر القهوة ونتشارك الحديث.
- تفضلي القهوة.
- شكراً.
- لماذا أنتِ هكذا خجولة جداً.
- جوان بإبتسامة رقيقة.
- كيف والدتك ووالدك؟
- الحمد لله.
- والدك ماذا يعمل؟
- مات منذ أن كنت طفلة.
- أنا آسفة
- لا بأس.
- كيف دراستك؟
- على ما يرام.
- هل اختبرتِ الاختبار النهائي؟

- لا.. لم يتبقى سوى أسبوعين.
- أوه، من أكثر شخص تحبينه وتحترمينه، يعني من أحدث بصمة في حياتك منهم وتتمني أن تكوني مثله؟
- المعلم عبدالسلام.
- جميل!
- إنه أستاذ حكيم وطيب ويساعد كل الطلبة.
- كيف يبدو.
- طويل يمتلك بشرة بيضاء وشعراً أبيض، إنه أستاذ اللغة العربية إنه طيب ذو شخصية عقلانية وحكيمة .
- أنتِ تمتلكين ملامح جميلة إبتسامتك الهادئة وشعرك البني وأيضاً بشرتك السمراء تشبه لون هذه القهوة.
- شكراً لك.
- هههههه العفو إذن.
- والآن علي الذهاب لقد تأخرت.
- حسناً، تفضلي.

الفتاة تنظر بإعجاب وتقول في نفسها يا لها من فتاة جميلة ومؤدبة.

***

وبعد مرور ثلاثة أعوام تنهي جوان تعليمها الثانوي وتحصل على الامتياز.

- جلنار يا صغيرتي.
- نعم.
- هل تريدين مواصلة التعليم الجامعي؟
- أود ذلك، ولكن لا أمتلك النقود الكافية.

لا تفكري في المال عليك الدراسة فقط سأتكفل أنا اذهبي لتدرسي أنتِ فقط ..

وبعد سبعة أعوام أصبحت جوان طبيبة تساعد المحتاجين وتعالجهم

لنقول أنها مشت على خطى معلمها.

كما أصبحت إبتسام معلمة ناجحة وما زالت تساعد المعلم عبدالسلام في مكتبته.

-أستاذ عبدالسلام.

- نعم.

- أريد أن أسألك سؤالا فضولياً.

-تفضلي.

- لماذا تساعدني أنا وجلنار لماذا؟

- صغيرتي إنها قصة طويلة.

- احكها إذن.

- حسناً.

كنت طفلاً صغيراً عندما فقدت عائلتي فرباني معلم.

اهتم بتعليمي وتكفل برعايتي كان حلمي أن أكون طبيباً وكما تعلمين ليس لدي ذرية فقد نذرت حياتي في مهنة التعليم.

- وما الشيء الذي جعلك تنذر حياتك في مهنة التعليم؟

- المعلم الذي رباني، ساعدني وتكفل برعايتي كان حلمه الوحيد أن يساعد الطلبة وينهض بالعلم يعني كان همه الوحيد أن يكون جميع بلدته حاصلين على التعليم العالي، وعندما كان مريض أخبرني بتحسر وبتأسف أنه لم يستطع تحقيق حلمه وعندما مات عاهدت نفسي أن أكمل مشوار معلمي فقد احببته كثيراً احببته اكثر من حلمي لقد قدم لي الحب والأهتمام الكثير؛ ولذلك أنا أساعد الطلبة وفتحت هذه المكتبة ولأني ليس لدي أطفال لتحقيق حلمي فتبنيت جلنار لتكمل هذا الحلم ولقد حققته نعم حققته

وأنا لماذا ساعدتني.

لأنك حلم معلمي...